السـلام
فى منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله

إن الإسلام دعوة للحياة المثالية، قبل أن يكون دعوة للحياة الآخرة، والفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وعندما نقول دعوة للحياة المثالية لا نعنى بالمثالية، مثالية المذهب الفلسفى الذى ينكر ذاتية الأشياء، وإنما نعنى بالمثالية التى ينشدها الإسلام، الحياة وفق الشروط والمبادئ والقواعد النابعة من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، وحياة مسلمة أول شروطها هو إقامة دولة العدل، والمساواة، والحرية للإنسانية كافة مع الاعتراف باختلاف العقائد والملل والأديان، بل واحترام هذا الاختلاف ولم يطالب الإسلام بإقامة دولة العدل، والمساواة والحرية إلا لأن هذه الدولة كفيلة بنشر مبادئ السلام والأمان والطمأنينة للبشرية، وفى الوقت نفسه محاربة ووأد وإبطال بذور ومقدمات كل ما يساعد أو يشجع على الشقاق والعداوة، والبغضاء والشحناء، فالله عز وجل الرحمن الرحيم بمخلوقاته علم رسوله محمداً ﷺ الأسلوب والوسيلة الفعالة الهادئة الرزينة فى مخاطبة الذين لما يؤمنوا بدعوته قائلاً سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] إنها درس فى أدب الحوار الحضارى، ودرس فى الوقت نفسه فى احترام وجهة نظر الخصم ولو كان هذا الخصم مخطئاً، فالدعوة إلى سبيل الله، وهو الخير والفلاح والنصر للإنسان فى حياته الأولى والآخرة، ينبغى أن تكون بالحكمة، وهى وضع الأمور فى موضعها. والموعظة الحسنة. أى الموعظة بلا عنف فى القول ولا تنفير، وبلا غضب، والجدال بما هو أحسن للخصم وأفضل، ذلك أن الجدال إن لم يكن كذلك، فربما كان وسيلة ومطية لعداوات وخصومات ممتدة. كذلك فى آية أخرى يوجه الله تعالى عباده المؤمنين التوجيه المتفق مع خلق الإسلام فى مخاطبة من اختلفوا معنا فى عقيدة التوحيد يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

إن أسلوب الدعوة الإسلامية هذا، فى أعلى درجات الرقى والسمو والرفعة لسببين:

أولهما أن الحوار مع الخصم إذا كان بهذه السمات الإنسانية لدلالة واضحة على احترامك لخصمك، ولما يعتقده وإن كان معتقده ضد معتقدك.

ثانيهما: إن الرسول ﷺ حينما كان يدعو إلى دين الله الحنيف بالحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن، دون أن يلجأ إلى أساليب الإقناع الهمجية أو اللاحضارية مثل استخدام العنف والقهر والإجبار لم يكن يهدف ممن يدعوه، مطلباً مادياً، أو مكسباً دنيوياً رخيصاً، مثل السلطة الحاكمة، أو الثروة الطائلة، أو المنصب أو الجاه، لم يكن يرجو محمد بن عبد الله ﷺ، إلا شيئاً واحداً لا غيره، هو تحرير الإنسان من الظلم، ظلمه لنفسه، وظلمه لغيره، سواء كان هذا الغير من بنى جنسه، أو كائنا من الكائنات الحية التى تدب على البسيطة، من حيوان، وطير، أو نبات، ولا ظلم أشنع وأقبح وأكبر من أن يعبد الإنسان ما سوى الله تعالى. ولم يرسل الله تعالى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إلا لإعتاق الإنسان وتحريره من هذا الظلم العظيم. ثم تأتى المراتب الأخرى من الظلم، وهى ظلم الإنسان لغيره، وإذا أوتى الإنسان إيماناً يقينياً بتوحيد الله تعالى إلها ورباً واحداً. فلن تحدثه نفسه، بارتكاب رذيلة الظلم والتكبر والطغيان فى الأرض، وكان إقناع الإنسان وإنقاذه من عبادة ما سوى الله عز وجل بأسمى أساليب المخاطبة والحوار رحمة من خالق الكون بعباده، وقد اتبع هذا الأسلوب جميع الأنبياء والمرسلين السابقين لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، فهذا سيدنا موسى عليه السلام الكليم، عندما توجه هو وأخوه هارون – عليهما الصلاة والسلام – إلى فرعون عدو الله الذى أله نفسه من دون الله، أمرهما الله تعالى أن يسلكا معه فى الحوار، والإقناع المسلك اللين، والسياسة الحكيمة الرزينة، البعيدة عن أساليب العنف والتأنيب، والتجريح فى القول، لعل هذه الطريقة الطيبة فى المجادلة تؤتى نتائجها وثمارها المرجوة. يقول الله تعالى موجهاً خطابه السامى إلى سيدنا موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم: ﴿**اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ [طه: ٤٢-٤٤] نعم صدق الله العظيم ﴿**لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ هذه هى طبيعة الدعوة فى منهج لا إله إلا الله دائماً، ولكل من عادى هذا المنهج فى جميع الأزمنة والأمكنة ذلك لأن دعوة

التوحيد دعوة مودة ورحمة وإشفاق على كل من لا يؤمن بها وحرص أكيد من الواحد المعبود بحق على عباده جميعاً. وإلا تأمل معى – قوله عز وجل ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ألا توحى وتشير إلى مدى اشفاقه تبارك وتعالى على عبده، ولو كان هذا العبد متكبراً طاغياً فى الأرض. وإن كان قد سبق فى علمه تعالى أنه لن يؤمن، وستؤدى به حبروته، وصلفه، وغروره إلى عدم نطقه بكلمة التوحيد إلا بعد أن يدرك الغرق ولات ساعة مندم.

والله سبحانه كما بين لنا كيف تكون مخاطبة أعداء الحق، أعداء دعوة التوحيد وذلك من خلال إرشاده جل وعلا سيدنا موسى عليه السلام. فإنه تبارك وتعالى قص علينا فى كتابه الحكيم. كيف أن خليل الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبا الأنبياء كان فى دعوته. أباه أو عمه لدين التوحيد وعبادة الحق عز وجل. وترك عبادة كل ما سوى الحق من أوثان وأصنام المجافية لأدمية الإنسان وكرامته – وهى دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بأسلوب واحد لا غيره لم يتغير وهو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن بالقول اللين، الذى ترق له القلوب النابضة بالفقه والحياة، ولكن أبا سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يقابل دعوة الموعظة الحسنة من الإبن المشفق على أبيه، الحريص على إنقاذه من هاوية الشرك، إلا بالصد العنيف، والتهديد والوعيد بالقتل رجما. غير أن خليل الله تعالى أبا الأنبياء عليه الصلاة والسلام، الذى وصفه سبحانه بالأواه الحليم رد على أبيه بالتى هى أحسن، والسلام والتضرع إلى ربه أن يغفر لأبيه.

ونقرأ – معاً – التصوير القرآنى المعجز لهذا الحوار الفريد فى الأخلاق، وحضارة الدعوة بالتى هى أحسن حضارة التوحيد.

يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

* * *

ودعوة الإسلام إلى السلام والأمن تقررها آية كريمة فى القرآن الحكيم وهى قوله تعالى عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة** ﴾ وسواء كان المراد بالسلم الإسلام أو السلام، فلا يخفى التقاء معانى السلام والإسلام فى وسائل وغايات كل منهما فالمسلم وكما عرفه نبى الإسلام محمد ﷺ: «من سلم الناس من لسانه ويده»، والسلامة من اليد واللسان تعنى السلام والأمن. وتحية المسلمين هى: السلام عليكم. وتحية الله عز وجل للمؤمنين يوم لقائه تحية سلام ﴿ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ** ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وتحية الملائكة للمتقين فى الآخرة سلام ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم** ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] ومن أسماء الله الحسنى السلام ﴿ **السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ** ﴾ [الحشر: ٢٣] والرد على جهل الجاهلين هو السلام ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٣].

والإسلام لما كان دعوة للحياة، الحياة فى ظل راية السلام، كما أكدنا ذلك سابقاً، لم يكتف الإسلام، بالأمر بشيوع قيم السلام فى الأرض بل اتبع **سياسة وقائية، وسياسة أخرى علاجية**، السياسة العلاجية هى سياسة استثنائية وضرورية وهى القتال كحتمية لإعادة الحق والعدل بعد انتشار الظلم والطغيان فمن أهداف القتال هو إقرار السلام بنشر العدل المفقود، وإعادة الحقوق لذويها:

١- السياسة الوقائية حماية للسلام:

إن مبررات القتال أو الحرب تنحصر غالباً فى فشو الظلم والباطل، وذلك باغتصاب الحقوق من مال وأرض وقتل للأنفس، كما أسلفنا.

إن الظلم وهو تجاوز حدود العقل والشرع والمنطق ممنوع ومحظور فى منهج لا إله إلا الله محمد رسول الله. فحق الحياة من الحقوق التى شدد الإسلام على محافظته. والحرص على صونه، فلحياة البشر حرمتها وقداستها وكرامتها التى لا تمس، بأى شكل

من أشكال المساس. إلا بحقها مثل القصاص للقاتل، أو لمن أفسد فى الأرض فساداً يستحق القصاص.

ولقد احترم الإسلام حياة الإنسان مطلقاً. أى بصرف النظر عن عقيدته الدينية، أو طبقته الاجتماعية، أو انتمائه العرقى، أو مذهبه الفكرى أو السياسى، ففى حضارة لا إله إلا الله محمد رسول الله كرم الإنسان تكريماً لم ينله فى أى حقبة من حقب التاريخ الممتد. ويكفينا من مظاهر هذا التكريم الإسلامى للبشر، أنه أقر بحرمة دم الإنسان على وجه الإطلاق، وأن الاعتداء على إنسان واحد بالقتل بدون حق من الحقوق الشرعية، يعد هذا الاعتداء والانتهاك لحرمة الدم البشرى، اعتداء وانتهاكاً. وسفكاً لدماء الناس أجمعين، وأن الحرص على حياة إنسان واحد يعتبر فى منهج التوحيد حرصاً وصوناً لحياة الإنسانية كافة.

هذه المعانى العظيمة فى تكريم الإنسان، والاعتراف الإلهى بمنزلته الكريمة تشير إليه هذه الآية فى الكتاب العظيم الذى لم ينزل على نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام إلا ليأخذ بيد الإنسان لئلا يضل ويشقى فى حياته الأولى والآخرة يقول الحق جل وعلا: ﴿ ... **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: ٣٢].

اليست هذه الآية الكريمة إعلاناً إسلامياً – منذ أربعة عشر قرناً – لحقوق الإنسان، وهل هناك حق أعظم وأكرم وأسمى للإنسان من إقرار مؤكد باحترام حقه فى الحياة، وتحريم وتجريم انتهاك حرمة هذه الحياة. ورسول الإنسانية، وأستاذ ومعلم البشرية حقوقها الفطرية يؤكد أو يشرح معانى آية سورة المائدة السابقة قائلاً ﷺ: «ابن آدم بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله» وقوله عليه الصلاة والسلام «ابن آدم» صادق على المسلم وغير المسلم كما أطلق تبارك وتعالى كلمة «نفس» فى الآية السابقة التى تطلق على الإنسان مطلقاً مهما تكن عقيدته. إننى أهدى تلك الاية من سورة المائدة. والحديث النبوى الشريف التالى للآية الكريمة – أهديهما لدعاة حقوق الإنسان والمنظمات الدولية الذين يزعمون أنهم الحماة والمدافعون لحقوق الإنسان.

هل راعيتم حقوق الشعب الفلسطينى المغتصبة أرضه وتاريخه وسيادته؟! هل دافعتم عن شعب الشيشان الذى تعرض للإبادة الروسية؟! هل الأفريقيون الأمريكيون الذين سيقوا من أوطانهم أرقاء وعبيدا، تساووا مع الأمريكيين البيض فى حقوقهم الوطنية؟! هل حضارة القرن العشرين، والنظام العالمى الجديد. وعولمة الألفية الثالثة من مبادئها «الإنسانية» أن يكون العالم الثالث حقل تجارب لأسلحة الدمار الشامل. والأدوية الطبية التى تنتجها مصانع أمريكا والغرب؟

إن الإسلام لم يحترم حقوق الإنسان إلا رغبة فى اقرار السلام على مستوى العالم. لأن إهدار حقوق الإنسان، وتحقير كرامته وآدميته بأى شكل من أشكال الإهدار والتحقير والإذلال كفيل بإشعال نار الحروب التى لا تبقى ولا تذر.

٢- السياسة العلاجية لاقرار السلام:

إذا لم تفلح السياسة الوقائية التى تحارب الظلم والطغيان والإفساد فى الأرض، واعتدى على دار الإسلام، فلا مفر ولا عدول عن حمل السلاح دفاعاً، واستعادة للحقوق الضائعة، أو التى أوشكت أن تضيع، إذا بيت العدو نية الإغارة على الحرمات الإسلامية ومضيعاً حقوق الإنسان.

* * *

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

* * *